

قصة الأبرص والأقرع والأعمى

فوائد وعبر

كتبها

أبو عبد الملك محمد بن أبي بكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،
وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة
في النار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن ثلاثة في
بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا الله عز وجل أن يبتليهم فبعث
إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لو ن حسن
وجلد حسن، قد قدرني الناس.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لُونًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ
الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ - أَوْ قَالَ الْبَقَرُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ فَقَالَ
يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ
عَنِّي هَذَا، قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ
إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا.
وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي
فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ، قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ:
الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُتِنَجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ
وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِي
الْحَبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ
اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالِ بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ:
إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ؟
فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا
فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ. فَقَالَ: أُمْسِكْ مَا لَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٦٤) وَمُسْلِمٌ (٢٩٦٤).

غريب الحديث:

- ١- أَبْرَصَ: البرص بياض يظهر في البدن.
- ٢- قَذَرَنِي النَّاسُ: اشمأزوا منه بسبب مرضه.
- ٣- عُسْرَاءَ: حامل.
- ٤- شَاءَ وَالِدًا: أي وضعت ولدها.
- ٥- الْحَبَالُ: الأسباب.
- ٦- لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ: أي ورثته عن آبائي.
- ٧- أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي: أتوصل بها إلى مرادي.
- ٨- لَا أَجْهَدُكَ: لا أشق عليك.

فوائد وعبر:

١- في الحديث: ابتلاء الله عز وجل لعباده، فقد ابتلى الثلاثة، ليظهر الشاكر من الكافر، والصالح من الطالح.

والابتلاء من سنن الله في عباده؛ لينظر كيف يعملون، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١)

[محمد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) [الإنسان: ٢].

ويبتلى المرء على قدر دينه، فعن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة أنها قالت: أتينا رسول الله ﷺ نعوذه في نساء، فإذا سقاء معلق نحوه يقطر ماءؤه عليه من شدة ما يجد من حر الحمى، قلنا: يا رسول الله، لو دعوت الله فشفاك، فقال: رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»

[أخرجه أحمد (٢٧٠٧٨) بسند جيد].

وفي رواية: عن مضعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في

بَلَاءِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

[أخرجه أحمد (١٤٨١) بسند حسن].

وَأَيُّ بَلَاءٍ يُبْتَلَى بِهِ الْعَبْدُ فَيَصْبِرُ مُحْتَسِبًا؛ إِمَّا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً أَوْ يَحِطُّ عَنْهُ بِهِ خَطِيئَةً، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».


[أخرجه البخاري (٥٦٤٠)]

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً».

[أخرجه مسلم (٢٥٧٢)]

وَقَدْ ابْتَلَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبِيََاءَهُ بِبَلَايَا شَتَّى فَصَبَرُوا صَبْرًا جَمِيلًا؛ وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ، وَمَا لَجَأُوا فِي مُحْنِهِمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ وَنَجَاهَهُمْ مِنْ كُرُوبِهِمْ وَرَفَعَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ.

فَهَا هُوَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْتَغِي الْحَوْتَ فَلَا يَفْتَرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنَاجَاتِهِ قَائِلًا:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ 

[الأنبياء: ٨٧] ، فقال تعالى مجيباً إياه: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ

وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وهذا أيوب عليه السلام -الذي ضرب به المثل في الصبر- ابتلاه الله عز وجل مدة طويلة؛ فابتلاه في جسده بالأمراض، وابتلاه في ولده بفقدهم واحداً تلو الآخر، وابتلاه في ماله، فما كان منه إلا الصبر الجميل، قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

وها هو نبينا عليه السلام أفضل الخلق، وأشرف البشر، وسيد ولد آدم، وخير من وطئت قدمه الثرى، يتلى بعدد من البلايا في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وتبليغ الرسالة، فيسب، ويضرب، ويقال له: ساحر، وشاعر، ومجنون، ومذمم. ومع ذلك كان يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

فاعلم أيها الأخ الحبيب أنك لست أعز على الله من هؤلاء، واعلم أن البلاء ليس إهانة ولا إنقاصاً من الله لك، بل هو رفع للدرجات أو تكفير للسيئات ، بشرط أن تكون صابراً محتسباً.

٢- وفي الحديث: فضل الشكر في السراء، ومن الشكر الجود بالمال على مستحقه؛ لأن الشكر ينبغي أن يكون من جنس النعمة، فمن رزقه الله مالاً ينبغي له أن ينفق منه على الفقراء والمساكين والأرامل وفي الرقاب؛ لأن المال مال الله، يوتيهِ من يشاء ليختبره ويبتليه، فمن أدى حقه وأنفقه في الحلال فقد شكر.

وأما من بخل بالمال على مستحقه من أهل الفقر والمسكنة، وأنفق ماله في الشر فقد كفر بالنعمة.

٣- وفيه قدرة الملائكة على التمثيل في صورة البشر، كما فعل الملك المذكور في الحديث.

وقد كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي الصحابي رضي الله عنه.

٤- وفيه أن الملك لا يُعد كاذباً عندما ادعى أنه رجل مسكين انقطعت به الأسباب في سفره، فمراده ضرب المثل بما فعل.

٥- وفيه أن الله إذا بارك في مال الرجل نما وكثر وأصبح مالاً عظيماً؛ فقد كثر الله أموال الثلاثة الذين ابتلاهم، فأصبح لكل واحد منهم وادٍ يموج بالنعمة، وأصل ذلك واحدة مما أعطي من النعم، وقد يهلك المال الكثير ويبيد في الزمن القليل.

٦- وفيه أن كثرة المال ليس دليلاً على حب الله للعبد، فالله يختبر الذين يهبهم المال، كما اختبر الثلاثة بما أعطاهم.

٧- وفيه قدرة الله على شفاء الأمراض المستعصية التي يظن البشر أنه لا شفاء لها، كالبرص والقرع والعمى؛ فالله قادر على كل شيء

هذا ما تيسر جمعه ، والحمد لله رب العالمين.
